(٤٣) الجنيد[١]

ذكر أبي القاسم الجُنيد بن محمد البغدادي رحمه الله تعالى:

كان سيد طائفة الله تعالى وإمامهم، وشيخَ المشايخ ورئيسهم، وأصله من نهاوند، ومنشؤه ومولده العراق[٢]، وأبوه كان يَبتاع الزجاج، ولذا يُقال: القواريري.

وكان في جميعِ العلوم ماهرًا، وفي الفنون كاملاً، وفي الأُصول والفروع مُفتيًا، وفي المعاملاَت والرياضات والإشاراتِ العالية سابقًا على الأقران، ومن أول حاله إلى آخر حاله حميدًا مقبولاً.

والكلُّ مُتَّفقٌ على أمانته وكماله، وكلامُه حجَّةٌ في علم الطريقة، وما استطاعَ أحدٌ أن يعترضَ عليه بمخالفة السنة.

وكان لسان القوم، وطاووسَ العلماء، وسُلطان المحقِّقين.

ولم يكن له نظيرٌ في الزهد والمحبة، وفي علم الطريقة صاحب اجتهادٍ، وأكثرُ مشايخ بغداد بعده كانوا على مذهبِهِ وطريقته.

---

(١) طبقات الصوفية ١٥٥، حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، تاريخ بغداد ٧/ ٢٤١، الرسالة القشيرية ٧٠، طبقات الحنابلة ١/ ١٢٧، الأنساب ١٠/ ٢٥٤، مناقب الأبرار ٣٤١، صفة الصفوة ٢/ ٤١٦، المنتظم ٦/ ١٠٥، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٥٦، وفيات الأعيان ١/ ٣٧٣، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٦، دول الإسلام ١/ ١٨١، العبر ٢/ ١١٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٣١، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٢٦٠، الوافي بالوفيات ١١/ ٢٠١، البداية والنهاية١١/ ١١٣، طبقات الأولياء ١٢٦، النجوم الزاهرة ٣/ ١٦٨، نفحات الأنس ١٢١، طبقات الشعراني ١/ ٨٤، الكواكب الدرية ١/ ٥٧٠، شذرات الذهب ٢/ ٢٢٨.

(٢) في (ب): ومولده من العراق.

وله تصانيفُ[١] غاليةٌ، وإشارت عالية، وهو أولُ من تكلَّمَ في الإشارة.

صحب السريَّ، والحارثَ المُحاسبي، ومحمد بن علي القصّاب.

مات سنة سبع وتسعين ومئتين.

وكان ابنَ أختِ السريِّ، سأل يومًا من شيخه السري: هل يكونُ المُريد أَعلى مرتبةً من الشيخ؟ قال: نعم. قيل: كيف يكون؟ قال: مرتبةُ الجنيد أعلى من مرتبتي.

وكانَ من أوّل أمره حتى في زمان الصِّبا مَشغولاً[٢] بالطلب وتحصيلِ الأدب، وكان صاحبَ الفراسة والفهم والفكر.

نقل أنه جاء إلى البيتِ يومًا من الكُتَّابِ، فوجد أباه يبكي، سأل عن ذلك، قال: ذهبتُ بشيءٍ من الزكاة إلى خالِك ـ أيّ السريّ السقطي ـ فلم يقبلْ، والحالُ أنّي صرفتُ عمري في تحصيل هذه الدُّريهمات الخسيسة، ولا يقبلُها أحدٌ من أولياء الله تعالى. قال الجُنيد: أعطني الدراهم لأُقبل بها على خالي، فأخذ وذهب إليه، ودقَّ الباب، فقال السريُّ: من أنت؟ قال: أنا الجُنيد. وقال: باللهِ الذي خلقَكَ، وفعلَ معك بالفضل، ومع أبي بالعدل إلاّ قبلتَ[٣]. قال السري: يا جُنيد، وكيف فعلَ معي بالفضل، ومع أبيك بالعدل؟ قال: إنَّ الله رزقَكَ الفقر، فإن أردتَ قبلتَ، وإلاّ فلا، أمّا أبي فرزقَهُ المالَ، فإن أرادَ، ولم يرد يجبُ عليه الصرف إلى المستحقِّ. قال السريُّ: فإنّي قبل أن أقبل الدراهم قبلتك. وفتح البابَ، وأخذ الدراهمَ، وأحبّه.

وكان ابنَ سبعِ سنين إذ ذهبَ به السريُّ إلى مكّة، وحجَّ به، فاتفق أربع مئة من المشايخ قد اجتمعوا في المسجدِ الحرام، وأخذوا يَتكلّمون في الشُّكر،

---

(١) ذكر له صاحب هدية العارفين ١/ ٢٥٨ من الكتب: أمثال القرآن، معاني الهمم في الفتاوى، المقصد إلى الله تعالى.

(٢) في (ب): زمان الصبي.

(٣) في (ب): إلا فعلت.

وقال كلُّ واحدٍ منهم كلامًا، فأشار السريُّ إلى الجُنيد، وقال: يا صبي، قلْ أنت أيضًا في بيان الشكر شيئًا. فقال الجُنيد: الشُّكر عبارةٌ[١] عمّا إذا أنعمَ اللهُ تعالى عليك بنعمةٍ ألاّ تجعلَ تلك النِّعمةَ مادّةً على المعصية[٢]، وأن لا تعصي الله تعالى فيها. فقال المشايخ: أحسنتَ يا قُرَّة عينِ الصدّيقين. واتّفقوا على أنّه لا يُمكن أن يُقالَ في تفسير الشكر أحسن ممّا قال.

فرجعَ إلى بغداد، واشتغلَ ببيع الزُّجاج.

وكان يدخلُ الدُّكانَ، ويسبلُ سِترًا، ويدخل خلفَ السِّتر، ويُصلّي أربع مئة ركعة، فمضى على هذا زمانٌ، ثم تركَ الدُّكانَ، وواظبَ على مجلس السريِّ، واشتغل بحراسة القلب، واجتهد في أن لا يخطرَ بباله غيرُ الحقِّ، وعبر على هذه الحالة أربعين سنة.

نقل أنه ثلاثين سنة يُصلّي العشاءَ، ويقومُ إلى الصباح، ويقول: الله الله، ويُصلّي بوضوء العشاء صلاةَ الصبح، فبعد أربعين سنةً ظنَّ أنَّه قَرُبَ إلى المقصود، فسمع هاتفًا يقولُ: جاء وقت أن نُريكَ إيّاك. قال الجنيد: إلهي، وما أَذنبَ الجنيد؟ سمع نداءً: يا جُنيد، على ذنبٍ أعظمَ من أنّك ترى لك وجودًا!.

أقول: نظيرُه ما قيل: وجودُك ذنبٌ لا يُقاس به ذنب، والله أعلم.

فتأوّه الجنيد، وسكت وأنشد:

مَنْ لم يَكنْ للوصالِ أهلاً فكلُّ إحسانِهِ ذنوبُ

وكان طولَ الليل قائلاً: الله، الله. حتى وقعتِ الناسُ فيه، وشرعوا في الطعن، وأوصلوا حالَه إلى الخليفة، والتمسوا زجرَه، والخليفةُ يقول: كيف نحكمُ فيه بلا حجّةٍ ونمنعُهُ بلا علّة؟ قالوا له: إنَّ الناسَ مُجتمعون عليه، ويغترُّون بكلامه. وكانت للخليفة جاريةٌ جميلةٌ حسناء مُشتراةٌ بثلاثة آلاف، ولم

---

(١) في (ب): الشكر عبادة.

(٢) في (أ): مادة للمعصية.

يكن حينئذٍ جاريةٌ بجمالها، وكان الخليفةُ عاشقًا لها، مفتونًا بجمالها وغُنجها ودلالِها، فأمرها الخليفةُ أن تتزيَّنَ وتتجمَّلَ بأنواعِ الحلي والجواهرِ واللآلئ واللِّباسِ الفاخرِ وتتعطّرَ بأنواع العطر، وأمرها أن تذهبَ إلى الجُنيد، وتقولَ له: لي مالٌ وجمالٌ، وأَشتهي أن تَقبلني وتتزوّجَ بي؛ لأشتغلَ ببركة صُحبتك بالطاعة والعبادةِ، وقلبي مالَ إليك، ولا يَميلُ إلى غيرِك، وأمرَها أن تعرضَ نفسَها عليه، وتكشفَ وجهَها بين يديه، وتحتالَ في ذلك، وتجتهدَ فيه، فذهبتِ الجاريةُ مع خادمٍ مجهولٍ إلى الشيخ، وذكرتْ ما أمرَها الخليفةُ؛ وبل بأضعافه، ففي أثناء المكالَمةِ وقَع نظرُ الشيخ بلا اختيارٍ عليها، فأطرقَ رأسَه، وسكتَ، والجاريةُ بعدُ في الحديث، ثم رفع رأسَه وتأوّه، فسقطتِ الجاريةُ ميتةً، وذهب الخادمُ إلى الخليفة، وحكاه الحالَ، فاضطربَ الخليفةُ وتشوَّشَ، وقال: مَنْ يعملْ مع الرجالِ ما لا يليق، يلقَ شيئًا لا يُريد. وقال: لا يليقُ أن ندعو إلينا مثلَ ذلك الرجل؛ بل نحن نأتي إليه. والتقى به، وقال: يا شيخ، كيف وافقَكَ قلبُكَ حتّى دعوتَ اللهَ على مثلِ تلك الجارية؟ قال: يا أيُّها الخليفة، كلا، ولكن أنتَ أردتَ أن تُفسدَ عليَّ عبادةَ أربعين سنة، ولم تُشفقْ عليَّ، واللهُ تعالى غيور، فأحرقَتْها نارُ غيرةِ الله تعالى، ومَنْ أنا ليكونَ لي تأثيرٌ في ذلك؟.

قال لبعض أصحابه: ما أخذنا هذا التصوّفَ بالقيلِ والقال، وبالمحاربة والجدال؛ ولكن وجدناه بالجوعِ والسهرِ، والزُّهد في الدنيا، والانقطاعِ عن المحبوب فيها، وعمّا يَميلُ القلبُ إليه.

وقال: لا يَنبغي أنْ يَسلكَ هذا الطريق إلاّ شخصٌ يكونُ كتابُ الله تعالى بيمينه، وسنةُ رسوله ﷺ بيساره، وبضوئهما يَسلكُ؛ لئلا يقعَ في جُبِّ الشُّبهة، وظُلمة البدعة.

وقال: من تحمّلَ البلاء في هذا الطريق شيخُنا عليُّ المُرتضى رضي الله عنه، ولولا كلامٌ ذكرَهُ عليٌّ رضي الله عنه لم يكن لهذه الطائفة شيءٌ يتمسَّكون به، والكلام هو هذا الذي قال حينَ سُئل: بماذا عرفتَ اللهَ تعالى؟ قال: بما جعلني عارفًا به، فعرفُت أنّه لا يُشبهُهُ شيءٌ، وليس له صورةٌ، ولا يُمكنُ أن

يُدركَ بالقياس، وأن لا يُقاس[١] بالأنواع والأجناس، فإنّه قريبٌ في البُعد، وبعيدٌ في القرب، فوقَ كلِّ شيءٍ لا بالمكان، ولا يُمكن أن يُقالَ تحت شيءٍ، أو تحته شيءٌ، وليس هو كشيءٍ، ولا عن شيءٍ، ولا في شيءٍ، ولا بشيءٍ، سبحانه من إله! هو كذلك، وليس غيره شيء ـ أي في الحقيقة ـ ومن أرادَ أن يشرحَ هذا الكلام يُمكنُهُ أن يكتب مُجلّدًا فيه، لكن فهم من فهم.

وقال: إن عشتُ ألفَ سنةٍ، لا أنقصُ من الأعمالِ ذرّةً إلاّ إنْ مَنعني عنه.

وقال: كنتُ زمانًا بحيث يَبكي عليَّ أهلُ السماء والأرض، ثم صرتُ إلى حيثُ بكيتُ على أهلِ السماء والأرض، وكنتُ حارسًا للقلب عشرَ سنين، ثم صارَ القلبُ حارسي عشرَ سنين، ثم صار منذ عشرين سنة لا خبرَ لي عن القلب، ولا للقلبِ عني.

وقال: لم تَفُتْ عنّي التكبيرةُ الأولى عشرين سنة ـ يعني مع الإمام ـ وكنتُ لو خطرَ ببالي شيءٌ من الدنيا لقضيتُ تلك الصلاة، ولو خطرَ ببالي شيءٌ من أمورِ الآخرة سجدتُ للسهو.

وقال يومًا لأصحابه: لو علمتُ أن ركعتينَ ممّا سوى الفريضة أَفضلُ من مُصاحبتكم لما صاحبتكم أبدًا.

نقل أنه رحمه الله كان يصومُ أيامًا على التوالي، فإذا اتَّفقَ أن يَزورَه شخصٌ من أصدقائه كان يصومُ معه، إن كان صائمًا، ويُفطر معه إن كان مفطرًا، ويقول[٢]: ليس ثوابُ الموافقة أنقصَ من ثواب الصوم.

نقل أنه كان في زِيِّ الفقهاء، ويقول: لو علمتُ أن الشُّغلَ ينقضي بلبس الخرقة، لكنتُ ألبس من الخرقة أوحشَ ما يكون؛ ولكن يُنادي كلَّ ساعةٍ في باطني: أن ليسَ الاعتبارُ بالخرقة، وإنّما الاعتبار بالحرقة[٣].

---

(١) في (ب): ولا يقايس.

(٢) في (ب) يزروه شخص من أصدقائه كان يفطر معه، ويقول...

(٣) في (أ): الاعتبار بالحرقة بالحرقة.

ونقل أنّه لمّا ترقّى شأنُه، أشارَ إليه السريُّ السقطي بأن يعظَ الناس، ويعملَ للوعظ ميعادًا من الأيام، وكان الجُنيد غيرَ راغبٍ في الوعظ، ويقول: مع وجود الشيخ يكونُ سوءُ أدب. حتى رأى في المنامِ أن النبيَّ ﷺ أمره بالوعظ، فأصبحَ وأرادَ أن يذكرَ المنام للشيخ السريِّ رحمه الله، فحين طلعَ من البيت صادفَ السريَّ واقفًا بالباب، وقال: يا جُنيد، مشايخُ بغداد التمسوا منك الوعظَ، وأنا أيضًا رأيتُ فيه المصلحةَ، وأشرتُ إليك به، فلم تقبلْ حتى أمرَك النبيُّ ﷺ بذلك، فالآن لزمَكَ امتثالُ أمر النبيِّ ﷺ. فأجاب الجنيد، واستغفرَ الله تعالى، وقال: يا شيخ، بمَ عرفتَ أنّي رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام؟ فقال السريُّ رحمه الله: إنّي رأيتُ الله تبارك وتعالى في المنام، فقال: يا سريُّ، اعلمْ أنّي أَرسلتُ محمدًا ﷺ ليأمرَهُ بالوعظ. قال: أشتغلُ بالوعظ بشرط أن لا يكونَ في المجلسِ أكثرُ من أربعين. ففعلوا كذلك، واشتغلَ بالوعظ، فمات ثمانية عشر من الأربعين، وأُغمي على اثنين وعشرين.

ونقل أنه بينما كان مشغولاً بالوعظ في بعض الأيام إذ دخلَ في مجلسه نصرانيٌّ على زِيِّ المسلمين، ولم يعرفْه أحدٌ من الحاضرين، وقال: أيُّها الشيخ، قال النبيُّ ﷺ: «اتّقوا فِراسة المؤمن؛ فإنّه ينظرُ بنورِ الله تعالى[1]». قال الجنيد رحمه الله: صدقتَ، ولكنَّ فراستي تقتضي أن تقطعَ زنّارَ الكُفر، وتدخلَ في الإسلام، وتعلمَ أنَّ قولَ النبيِّ ﷺ حقٌّ؛ فإنّ المؤمنَ ينظرُ بنور الله. فأثّر الكلامُ في قلب النصرانيِّ، فآمنَ عن قلبٍ صافٍ، وتعجّبَ الحاضرون من فراسته.

ثم انقطعَ عن المجلس، وتركَ الوعظ، كلّما ألحُّوا عليه لم يقبل، وقال: علمتُ أنّه أعجبني الوعظ، فلو اشتغلتُ به لهلكتُ. ثم بعد زمانٍ شرعَ فيه بلا طلبٍ، فقيل له في ذلك، قال: وجدتُ في بعضِ الأحاديث أنَّ في آخرِ الزمان

---

(١) حديث أخرجه الترمذي (٣١٢٧) في التفسير، باب ومن سورة الحجر، والطبراني في الكبير٨/ ١٠٢، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ١١٨، والخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ٩٩، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٦٨.

يكونُ شرُّ الناس زعيمَهم ومحدِّثَهم، وأعلمُ أنّي شرُّهم، فلذا شرعتُ في الحديث.

قيل: بم وجدت هذا المقام؟ قال: بأنّي قمتُ على ساقِ الجدِّ، وقدمِ الاجتهاد أربعين سنةً في دهليز السريِّ السقطي.

نقل أنه قال يومًا: إلهي، ضاعَ قلبي، أرجو منك أن تردَّهُ عليَّ. سمع هاتفًا يقول: يا جُنيد، أخذنا منك قلبَكَ لتكونَ لنا، فإن رددْنَا قلبَك إليك تصيرُ لغيرها.

نقل أن حسينَ بنَ منصور الحلاّج تبرّأ عن عمرو بن عثمان المكّي، وجاء إلى الجُنيد، وقال له الجنيد: ولماذا جئتَ إليَّ؟ لا يكونُ أن تفعلَ كما فعلتَ بسهلِ التُّستري، وعمرِو بن عثمان المكّي ـ يُشيرُ إلى أنّه أعرضَ عنهما ـ فقال الحسين: للعبدِ صحوٌ وسُكرٌ، ولا يكون العبدُ دائمًا فانيًا في أوصاف ربِّه. قال الجُنيد: أخطأتَ يا حسين في الصَّحو والسُّكر، الصحو عبارةٌ عن صحَّةِ حالِ العبد مع الحقِّ، وهذا يدخلُ تحت اكتسابِ العبد، ولكن أرى في كلامِكَ الفضولَ، وما لا معنىً له[1].

نقل أنه رأى شابًّا جالسًا في ظلِّ أمِّ غَيلان، فقال: ما أجلسَكَ هنا[2]؟ قال: كان لي حالٌ فقدته هنا، فقعدتُّ أُلازمَ هذا المكان لعلّي أُصادفُهُ. فمضى الجُنيد إلى مكّة، ثم رجعَ، فوجدَ الشابَّ جالسًا في ذلك المكان، فسأله عن لُزومه ذلك الموضع، قال: الآن وجدتُ هنا ما قد ضيَّعتُهُ، لا جرمَ لا أُفارقُ هذا المكان؛ إذ فيه وصلتُ إلى مقصودي. فقال الجنيد رحمه الله: ما أَدري أيُّ الحالين أَشرفُ: الملازمةُ للطلب، أمِ المُلازمة بعد الوجدان؟!.

نقل أن الشِّبلي رحمه الله قال: إن خيَّرني الله تعالى يومَ القيامة بين الجنَّةِ

---

(١) في (ب): الفضول يا غلام، ولا معنى له.

(٢) في (ب): ماذا أحبست هنا.

والنار، فإنّي أَختارُ النارَ لا الجنة؛ لأنَّ الجنةَ مُرادي، والنارَ مرادَ الحبيب[١]، وإنّي أَختارُ مُرداه على مُرادي . سمع الجنيد فقال: هذا كلامُ الصبيان، فإن خيّرني الله تعالى يومَ القيامة بينهما، فلا أختارُ شيئًا منهما، إذ لا اختيارَ للعبد؛ بل ما يختارُ الحبيبُ فهو مُختاري، فاختياري اختيارُهُ، ورضاي رضاه، ومُرادي مُرادُه، وأنشد:

وكلتُ إلى المحَبوبِ أمريَ كُلَّهُ فإنْ شاءَ أَحيانِي وإنْ شاءَ أَتْلَفا

نقل أنه قالَ له شخصٌ: ليكنْ قلبُك حاضرًا حتى أُحدِّثَكَ شيئًا. قال: منذ سنين أَطلبُ من قلبي أن يحضر ساعةً لله، فما وجدتُهُ، فكيف يحضر الآن؟.

نقل أن رجلاً من الصالحين رأى النبيَّ ﷺ في المنام جالسًا، والجنيدُ عنده، فجاء شخصٌ برقعةِ فتوى، وطلب الجواب، فأشار إليه النبيُّ ﷺ: أن أَعطه الجُنيد ليكتبَ الجواب. فقال الشخصُ: بحضرتِكَ يا رسول الله كيف يُفتي آخر؟ فقال ﷺ: أنا أفتخرُ بالجُنيد كما يفتخر الأنبياءُ بي.

قال جعفر بن قيصر[٢]: أعطاني الجنيد رحمه الله دِرهمًا، وقال: اشترِ به التِّينَ والزيت. وكان صائمًا، فلمّا وضعَ تينًا في فيه عند الإفطار رماهُ وبكى، وقال: يا أخي، ناداني هاتفٌ وقال: ألا تستحيي أن تأكلَ شيئًا حرَّمْتَهُ على نفسك لأجلي ـ أي في النهار ـ حال الصوم، وأنشد:

نونُ الهوان من الهوى مَسروقةٌ فصريعُ كلِّ هوًى صريعُ هوانِ

---

(١) قوله هذا مخالف لما أخبر به المصطفى ﷺ، فقد روى أحمد في المسند ٢/ ٣٦١، والبخاري في صحيحه (٧٢٨٠) والحاكم في المستدرك ١/ ٥٥، وابن حبان في صحيحه ١/ ١٩٦ (١٧)، واللفظ له: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لتدخُلنَّ الجنة كلُّكم إلاّ من أبى وشردَ على الله كشراد البعير»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى أن يدخل الجنة؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

وقال عزّ من قائل في سورة النساء (١٤٧): ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾.

(٢) كذا في الأصلين، وفي الطبعة الفارسية: جعفر بن نصير.

نقل أنه اتَّجعَ، فقال: اللهم، اشفني بشفائك. فسمع هاتفًا يقول: يا جُنيد لا تدخلْ بين العبد وربِّه، بل امتثلْ بما أمرَكَ، واصبرْ فيما ابتلاك، أنّى لك الاختيار!.

نقل أنه عاد مريضًا فقيرًا، فوجد له أنينًا، قال: ممَّن هو أنينك؟ فسكتَ الفقير، فقال: مع من هو صبرك؟ فصاح الفقير وقال: لا قوّةَ لي على الصبر، ولا مجالَ لي إلاّ الأنين؟!.

ونقل أنه اشتكى بعضَ الأيام من علَّةٍ كانت بإحدى رجليه، فقرأ الفاتحة، ونفخَ على الرِّجلِ العليل، فسمع هاتفًا يقول: ألا تستحيي من الله! تقرأُ كلامه لحظِّ نفسك؟.

ونقل أنه رمدت عيناه، فنهاه الطبيبُ عن إيصالِ الماء إليها، وقال: إن وصلَ إليها الماءُ وذهبت فلا تلومنَّ إلاّ نفسَك. فلما ذهب الكحّال، وجاء وقتُ الصلاة، طلبَ الجُنيد ماءً، وتوضَّأَ وصلّى، ثم أخذه نعاسٌ، فقام من النوم، وبرئت عينه بإذن الله تعالى، ثم سمع هاتفًا يقول: يا جنيد، تركتَ العينَ لأجلِ رضائي، فلو أنَّك طلبتَ أهلَ النار كلَّهم عنّي بذلك العزم لأَعطيتُك، فكيف بالعين؟ ثم رجعَ الكحّالُ، ورأى عينَهُ صحيحةً، ما بها علَّةٌ، وكان نصرانيًّا، فسأله عن السبب، قال: توضَّأْتُ وصلّيت. فآمن الكحّال، وخرجَ عن الكفر، وقال: لا شكَّ أنَّ هذا علاجُ الخالق، وكان الضعفُ والرَّمدُ في عيني، وعينُكَ كانت صحيحةً، وأنت الطبيبُ لا أنا.

ونقل أنَّ شخصًا من أهلِ الكشف دخلَ على الجُنيد، فرأى الشيطانَ هاربًا من عنده، ووجد الجنيد غضبانَ مُنزعجًا على أحد الحاضرين، فقال: يا شيخ، الشيطانُ يدخلُ على الإنسان حالَ غضبه أكثرَ من غيرِ هذه الحالة، وقد رأيتُهُ يهربُ منك، وأنت في الغضب. قال الجنيد: لأنَّا لا نغضبُ إلاّ للحقِّ، لا جرمَ أنه لا يهربُ منّا كما لا يهربُ حالَ الغضب[1].

---

(١) في (أ): وقد رأيته يهرب منّا كما لا حالَ الغضب.

ونقل أنه قال: أردتُ أن أَرى إبليسَ عليه اللعنة، وبينما كنت يومًا من الأيام واقفًا على باب المسجد، إذ رأيتُ شيخًا قد أقبلَ عليَّ، وظهرَتْ في قلبي منه وحشةٌ، فقلتُ: من أنت؟ قال: الذي كنتَ تُريده. قلت: يا ملعون، وما منعكَ أن تسجدَ لآدم عليه السلام؟ قال: يا جُنيد، هل رأيتَ أنّي كنتُ أَسجدُ لغيرِ الله تعالى؟ قال الجنيد: فتحيَّرْتُ من كلامه، فنودي في سرِّي أن قلْ له: يا كذّاب، لو كنتَ عبدًا لامتثلتَ للأمرِ، وانتهيتَ عن المنهي. فلمّا سمعَ إبليس عليه اللعنة هذا الكلام صاح وقال: أَحرقتني يا جُنيد، وغاب.

نقل أنه قال شخص: إنَّ الإخوان قليل. فقال الجُنيد: إن أردْتَ أخًا يحملُ عنك مؤنتك وثقلَكَ فإنه قليلٌ جدًا، وإن أردتَ أخًا أنت تحملُ ثقلَهُ، فهذا كثير.

ونقل أنه كان يَبكي في بعضِ الأيام، فسُئل عن سببه، فقال: لو صارَ البلاء ثعبانًا لصيَّرْتُ نفسي له لقمةً، ومع هذا قد انقضى عُمري في طلبِ البلاءِ، وبعد هذا يقولون لي: لا تليقُ ببلائنا.

ونقل أنه رحمه الله كان إذا اشتغلَ بالكلام في التوحيد يتكلَّمُ كلَّ مرّةٍ بعبارةٍ أُخرى، ما كان يصلُ إلى معناها فهمُ السامعين، فقامَ يومًا شخصٌ وقال: إنّي لا أَفهمُ معنى هذا الكلام. قال: لا تنظرْ إلى أعمالِك التي عملتَها في مدّة عُمرك حتى تفهم. قال الرجل: تركتُ عبادةَ سبعين سنة وما أَفهمُ بعدُ؟! قال: اجعلْ رأسَك تحت قدمك، فإن لم تفهمْ فالملامةُ عليَّ.

نقل أن شخصًا من أهل الثروة أَهدى الجُنيد رحمه الله خمسَ مئة دينار، فلما وضعَ بين يديه قال الجنيد: ألكَ غيرُهُ؟ قال: نعم، لي مالٌ كثير. قال: تطلبُ غيرَهُ؟ قال: نعم. قال الجنيد: فأنت أَولى بهذا منّي؛ فإنّي ما أجدُ شيئًا من هذا، وليس لي طلبٌ بحمد الله، ولا طمعٌ.

نقل أنه رحمه الله رأى شخصًا سائلاً يسألُ الناسَ في المسجد، فخطرَ بباله: أنَّ هذا الرجلَ صحيحٌ سالمٌ، فلمَ يسألُ، ولا يعملُ عملاً ليخلصَ به عن ذلِّ السؤال؟ ففي الليلةِ رأى في المنام أن وضِعَ بين يديه طبقٌ مغطًى، وقيل له: كلْ

من هذا. فشالَ الغطاءَ عن الطبق، فرأى جسمَ ذلك السائل مشويًّا موضوعًا على الطبق، فاجتنبَ عن أكلِهِ، وقال: ما أكلتُ من لحمِ الميتِ، ولا آكلُ. فقيل: وكيفَ كنتَ تأكلُ من لحمه أمس، والآن تنفرُ منه؟! فعلمَ أنّه اغتابَ السائلَ بما خطرَ بباله فيه، وانتبه من النوم فزعان، وقال: توضَّأتُ وصلّيت ركعتين، وخرجت في طلبِ السائل، فوجدتُهُ في جنب الشطِّ، وهو يأخذُ قطيعاتِ البقل من وجه الماء ممّا غسلوه، وذهب الماءُ بها، ويأكلُ، فلمّا رأى الجنيدَ رفعَ رأسه، وقال: يا جنيد، هل تبتَ ممّا أضمرتَ في حقِّنا؟ قلت: نعم. قال: اذهبِ الآن واحفظِ الخاطرَ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥]. والسلام.

نقل أنه قال: تعلّمتُ الإخلاص عن حجّام، إذ كنتُ بمكّة، فالتقيتُ بحجّامٍ يُزيّنُ محاسنَ رجلٍ من ذوي اليسار، فقلتُ له: لله تعالى احلقْ[1] رأسي. قال: نعم. ودمعت عيناه، وترك ذلك الرجل، وجاء إليَّ، وقال: حين ذكرتَ الله تعالى ما بقي لغيرِهِ مجالٌ. فأجلسني بين يديه، وقبَّلَ رأسي، وشرع في الحلق، ولمّا تمَّ أعطاني كاغدًا فيه قراضةٌ، وقال: اصرفْها في حوائجك. فأخذتُ، وشرطتُ مع نفسي أنَّ أولَ شيءٍ يفتحُ الله عليَّ أبعثُهُ إليه مكافأةً لإحسانِهِ، فما مضى إلاّ قليلٌ إذْ أُهديتَ إليَّ من البصرة صرَّةٌ، فحملْتُها إليه، فقال: ما هذا؟ قلتُ: قد نويتُ أنَّ أوَّلَ ما يفتحُ اللهُ عليَّ أُجازيك به، فالآن حصلَ هذه، فاقبلْها منّي. فقال: يا رجل، ما تَستحي من الله تعالى؟ فإنَّك أَمرتني أن أحلقَ رأسَك لله، ثم جئتَ إليَّ بالأجرة، فمن رأيتَ عملَ لله عملاً، ثم أخذَ الأجرة من غيره؟!.

ونقل أنه قال: كنتُ أُصلّي في ليلةٍ من الليالي، فما وافقتني نفسي في السجدةِ الأخيرة حتى ضاقَ قلبي، فأردتُ أن أطلعَ من البيت، ففتحتُ الباب، فخرجتُ، رأيت شابًّا متدثّرًا بكساءٍ أسودَ واقفًا بالباب، فلما رآني قال: كنتُ

(١) في (ب): فقلت له: تعالَ احلق.

أنتظرُك، فلِمَ تأخَّرتَ؟ علمتَ أنّه كان سببَ تشوُّش بالي، واضطرابي في الصلاة، قال: ماذا تقول: متى يصيرُ داءُ النفس دواءً لها؟ قلت: إذا خالفتَها يصيرُ دواءها. فقال: يا نفسُ، كم سمعتِ منّي هذا الجواب، فاسمعي من الجُنيد أيضًا. ثم ذهبَ وغاب، وما علمت أنه من كان، ومن أين جاء، وإلى أين ذهب.

نقل أنه سمعَ أن في قلّةِ الجبال راهبًا في صومعةٍ، وهو يُخبرُ عن المغيَّبات، فذهب إليه الجنيد في جماعةٍ من الأصحاب قاصدًا لإسلامه، فلمّا قربَ منه، طلعَ الراهبُ من صومعته، وقال: لا تجئ إليَّ؛ فإنّي لا أقبلُ كلامَكَ. ثم قال: تعالَ، فتعجَّبَ الجُنيد عن هذا الحال، فمضى إليه، وقال الراهب: اعرضْ عليَّ الإسلام. فعرضَ الجُنيد، وأسلمَ الراهبُ، ثم سأله الجنيد عن المنع أولاً، ثم الطلبِ ثانيًا، قال: نفسي منعتني أولاً من الإسلام لأنّي عرفتُ بالفِراسة أنَّكَ قصدت إسلامي، فلا جرمَ منعتُكَ، ثم قلبي وافقني، وخالفَ النفس، وأَمرني بالإسلام، فلذا طلبتُ منك المجيء.

نقل أنَّ علي بن سهل كتبَ إلى الجُنيدِ: أنّ النومَ غفلةٌ، ولا ينبغي للمُحبِّ أن ينامَ، لأنّه حال النوم يغفُلُ عن المقصود، وعن وقته، مصداقُهُ ما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، كذبَ من ادّعى محبَّتي ثم نامَ بالليل، وغفَلَ عنّي وعن محبَّتي.

فكتبَ الجُنيدُ الجواب: أنَّ اليقظةَ معاملتُنَا في طريق الحقِّ، ونومَنا فعلُ الحقِّ جلَّ جلاله فينا، فاختيارُ الحقِّ يكون خيرًا من اختيارنا، والنومُ موهبةٌ من الله تعالى على المحبّين.

قيل: العجبُ أن الجُنيد رحمه الله كان من أهلِ الصَّحو، ورجَّحَ في هذه المكاتبة السُّكرَ؛ لعلّه أرادَ به ما وردَ في الحديث: «نومُ العالم خيرٌ من عبادة الجاهل»[1].

---

(١) هذا الحديث لم أجده في المصادر التي بين يدي.

أقول: فعلى هذا يكون مرادُهُ أنَّ نومَ العالم خيرٌ من يقظة الجاهل، وذلك لأن الجاهلَ اليقظان وإن كان عاملاً فلا ينفعُهُ عملُه، إذ العملُ مع الجهل كلا عملٍ، والعالِمُ إذا نامَ لا ينامُ إلاّ على العلم والمعرفة والأدب، فيثابُ[1] حينئذ على النوم، فيكون نومُهُ خيرًا من عبادة الجاهل. والله أعلم.

نقل أن سارقًا دخلَ على بيت الجنيد رحمه الله، فما وجدَ سوى قميصٍ، فأخذه ورجع، ففي الغد رأى الجُنيد القميصَ بيد بيّاعٍ، وهناك شخصٌ يُريد أن يشتريه ويقول: من يشهدُ أن القميص لك؟ فقال الجنيد: أنا أشهدُ أنَّ القميصَ ملكٌ له، فاشتر منه.

نقل أن عجوزةً جاءت إليه وقالت: يا شيخ، لي ابنٌ غائبٌ، فادع الله تعالى ليردَّه عليَّ ببركة دعائك. فأمرها بالصبر، ثم كم مرّةٍ جاءتْ إليه، وطلبت منه الدعاء، فأمرها بالصبر[2]، إلى أن جاءتْ وقالت: فني صبري، وذهبَتْ طاقتي. فقال الجنيد: إن صدقتِ في انعدام صبرك، فاللهُ تعالى قد ردَّ عليك ابنَك، لأنَّه قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] ثم دعا لها، فرجعتْ، ورأتِ الابنَ في البيت.

نقل أن رجلاً اشتكى إليه من الجوع والعُري، فقال الجنيد رحمه الله: لا تشتكي؛ فإنَّ الله لا يَبتلي بالجوع والعري إلاَّ أولياءَه، ولا يعطيهما من يُشنّع ويَشتكي.

نقل أن رجلاً من ذوي اليسار طلبَ واحدًا من المُريدين، ثم جاء بطعامٍ في زنبيل حملَها الفقير المريد، فغضب الجُنيد رحمه الله من ذلك، ولم يقبلِ الطعامَ، وقال: أتعبتَ فقيرًا لأجل طعامك لتكتسب به أجرًا، فإنَّ الفقراء وإن لم تكن لهم الدنيا، فلهم الآخرة.

ونقل أن رجلاً من الأغنياء كان يتصدَّقُ على الصوفية، ويخصُّهم بصدقته،

---

(١) في (ب): فلا يثاب.

(٢) في (أ): الدعاء، وهو يأمرها بالصبر.

ويقول: هم قومٌ ليس لهم همَّةٌ سوى الله، وإن كان لهم حاجةٌ إلى غير الله تتفرَّقُ همَّتُهم، ويتشوَّشُ عليهم حالهم، فعلى هذا توسُّلي إلى الله تعالى بقلبٍ حاضرٍ أحبُّ إليَّ من التوسُّلِ بألفِ قلبٍ يكون همّتها الدنيا، سمع الجُنيد هذا الكلام، فقال: هذا كلام المُحبّين. ثم عرض لذلك الرجلِ فقرٌ بسبب أنّه ما كان يأخذُ من الصوفية ثمنَ ما يبيع، فحصَّلَ الجُنيد مالاً، وأعطاه إياه، وقال: اتَّجرْ؛ فإن لمثلك لا تَضرُّ التجارة.

نقل أن شخصًا من المريدين زعمَ أنه وصلَ إلى درجة الكمال، وتركَ صُحبةَ الشيخ، وقال: الخلوةُ أنفعُ لي بعد اليوم من مُواظبة مجلسِ الشيخ. فانزوى في زاويةٍ، ومضى عليه زمانٌ حتى انتهى أمرُهُ إلى أن كان يتخيَّلُ أنه يُجاء إليه كلَّ ليلةٍ بأسدٍ ويركبه، ويُقال له: نذهبُ بك إلى الجنة. وهو يذهبُ راكبًا على الأسد إلى موضع نزيهٍ، بين طائفةِ حسانٍ، في روضةٍ وماء جارٍ، وكان يبيتُ هناك إلى السحر، ثم ينامُ، وعند الانتباه يَرى نفسَه في صومعته، فاغترَّ بذلك، وتكبَّرَ في نفسه، وحصلَ له عُجْبٌ عظيم، فبلغ إلى الجُنيد رحمه الله، فقصدَه، وذهبَ إليه، فوجده مُتكبِّرًا، مُعجبًا ضائعًا في نفسه، فسأله عن حاله، فأخبر ما جرى له، فقال الشيخ: الليلةَ إذا وصلتَ إلى ذلك المقام، فقل ثلاثَ مرّات: لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله العليِّ العظيم. فلمّا أمسى، وهو على العادة، ركبَ الأسدَ، وذهب إلى مقامِهِ الموعود، وهو مُنكرٌ لوصية الشيخ، ولكن عند الوصول قال للتجربة: لا حولَ ولا قوّة إلا بالله العليِّ العظيم، فالقومُ صاحوا وغابوا، وهو وجدَ نفسه في مزبلةٍ، بين يديه عظامُ الموتى، فعلم أنَّه أخطأَ وضلَّ، فتاب من ذلك، ورجع إلى الشيخ، وقبلَ أمرَه، وتيقَّنَ أنَّ الخلوةَ للمريد أضرُّ من السحر، وصحبةُ الشيخ هي الترياق.

نقل أن رجلاً من المريدين شهقَ في مجلس الشيخ حين هو يتكلَّمُ، فصاح عليه الشيخُ، ومنعه، وأوعده إن عاد، ثم شرعَ في الكلام ثانيًا، فلم يطقِ المريدُ، وما صاح احترامًا للشيخ، ثم وجدوه مَيتًا مُحترقًا في دِلقة، صائرًا رمادًا.

ونقل أنَّ مريدًا له كان بالبصرة مُنزويًا في خلوةٍ، ففي بعض الأيام همَّ معصيةً، فاسودَّ وجهُهُ، فنظر في المرآة، وتحيَّرَ في حاله، واختفى عن الناس حياءً، بعد ثلاثة أيام شرعَ وجهُهُ يبيضُّ شيئًا فشيئًا إلى أن ابيضَّ كلُّه، ثم جاء إليه شخصٌ بكتابٍ من الجُنيد رحمه الله إذا فيه: لِمَ تُسيءُ الأدبَ في حضرة الله تعالى ليسوّدَ وجهَك؟ وإنّي دعوتُهُ مرّاتٍ حتى عادَ إليه البياض، وكان الجنيد ببغداد حينئذ.

نقل أنه رحمه الله دخلَ الباديةَ مع تلميذٍ له، وأثّرتِ الشمسُ في رقبة التلميذ حتى احترقَتْ وسال منها الدم، فقال: اليوم يومٌ حارٌّ. فالتفتَ إليه الجنيد، وقال: أنت لا تليقُ بالصحبة. وهجره عن الصحبة.

ونقل أن تلميذًا كان أعزَّ عليه من سائر تلاميذه حتى غاروا عليه غيرةً عظيمة، فقال الشيخ رحمه الله: لأنَّه أَذكى وأفهمُ، وإنّي سأمتحنكم جميعًا. فأمرَ يومًا بشراءِ عشرين دجاجة، وأعطى كلَّ تلميذٍ واحدًا، وأمرَهُ أن يذبحَها في موضعٍ لا يراه أحدٌ، فذهبوا، ورجع كلٌّ بدجاجةٍ مذبوحةٍ إلاّ ذلك التلميذ، رجع بلا ذبح، فسألوه عن ذلك، قال: إنَّ الشيخَ قد أمرني أن أذبحَها في موضعٍ لا يراني أحدٌ، وإنّي كلَّما سعيتُ في ذلك ما قدرتُ عليه؛ لأنَّ الله تعالى لا شكَّ يَراني وينظرُ إليَّ، ولا قُدرةَ لي أن أَختفي منه تعالى. فألزمهم الشيخ بذلك، وهم استغفروا وتابوا.

نقل أنّ شخصًا من السادة يُسمّى ناصريًا قصدَ الحجَّ، فلما دخلَ بغداد، ودخلَ على الجنيد رحمه الله، وزاره، سألَ الجُنيد عن مكانه، قال السيّدُ: وطني جيلان. فسأله عن نسبه، قال: من أولاد أميرِ المؤمنين عليٍّ كرّم الله وجهه. قال الشيخ: كانَ أبوك رضي الله عنه يُجاهدُ في سبيل الله بسيفين، يستعملُ أحدَهما مع الكفار، والآخرَ مع نفسه، فيا من هو من أولاده رضي الله عنه، فأنت أيُّ السيفين تستعمل؟ فبكى السيد، وقال: يا شيخ، أرشدني إلى الله تعالى. قال الشيخ: اعلمْ أن صدرَك حريمٌ خاصٌّ لله تعالى، فلا تجعلْ فيه لغيره طريقًا ما استطعت.

وله كلمات عالية منها: .

الفتوّةُ في الشام، والفصاحةُ في العراق، والصِّدقُ في خراسان.

قطّاعُ هذا الطريق على ثلاثة أنواع، وهم يَنصبون الشِّباكَ فيه على أنواعٍ: شبكة المكر والاستدراج، والقهر، واللطف، فينبغي أن يفرّقَ العبدُ بينها.

والعبادُ على[1] قسمين، فالعبدُ حقيقةً أن يقول: اللهم، إنّي أعوذُ بك منك.

و: يطلب العبدُ علمَيْن، علم العبودية، وعلم الربوبية، وما سواهما حظُّ النفس.

و: أعظمُ النسب ما كان مع الفكرةِ في ميدان التوحيد.

و: الطرقُ كلُّها إلى الله تعالى مسدودةٌ سوى طريق محمد[2] ﷺ.

لا يجوزُ الاقتداء بمن لا يكون حافظًا للقرآن، عالمًا بالسنة؛ فإنَّ علمَ هذا الطريق متعلّقٌ بالكتاب والسنة.

بين العبدِ وبين الله تعالى أربعةُ أبحرٍ يجب قطعها، فالأولُ بحرُ الدنيا، وسفينتُهُ الزُّهد، والثاني بحرُ الناسِ، وسفينتُهُ الاعتزال عنهم، والثالث بحرُ إبليس، وسفينتُهُ مُتابعةُ السُّنة، والرابعُ بحرُ الهوى، وسفينتُهُ مُخالفةُ النفس.

الفرقُ بين هواجسِ النفس ووساوسِ الشيطان أنَّ النفسَ إذا اشتهت شيئًا فكلَّما تمنعُها عنه يزدادُ حرصُها إلى أن تبلغَ إلى مقصودها، وأمّا الشيطانُ إذا وسوسَ، وأنت خالفتَهُ هو أيضًا يتركك.

النفس جاذبةٌ للهلاك، ناصرةٌ للأعداء، متابعةٌ للهوى، متَّهمةٌ دائمًا بالقبائح.

إبليس لم يستأنسْ به في الطاعة، وآدم عليه السلام لم يستوحشْهُ في الزلّة.

---

(١) في (ب): العباد هم على.

(٢) في (أ): سوى طريق المحمدية.

و: ليستِ الطاعةُ سببًا لما كتب في الأزل؛ بل هي أمارةٌ دالّةٌ على أن ما كُتب على المطيع هو من جنس السعادة.

والرجلُ رجلٌ بالسيرةِ دون الصورة.

قلبُ العارف خزانةٌ لأسرارِ الله تعالى، واللهُ تعالى لا يجعلُ سرَّه في قلبٍ يكون فيه محبَّةُ الدنيا.

و: الغفلةُ من الله تعالى أشدُّ على العبدِ من دخول النار.

و: من عرفَ نفسَه هان عليه العبودية.

من حَسُنَتْ لأمرِ الله تعالى رعايتُهُ دامت ولايته.

من قال: (الله) بلا أُنسٍ فهو كذّاب.

و: من لم يعرفِ اللهَ تعالى لا يفرحُ أبدًا.

و: من أحبَّ سلامةَ دينه، وراحةَ نفسه، وعافية قلبه فليجانبِ الناس؛ فإنّ الزمانَ زمانُ الوحشةِ، والعاقلُ من يختار الوحدة والانفراد.

و: العارفُ من وصلَ علمُه إلى اليقين، ويقينُهُ إلى الخوف، وخوفُهُ إلى العمل، وعملُه إلى الورع، وورعُهُ إلى الإخلاص، وإخلاصُهُ إلى المشاهدة.

و: في الرجال من يمشي على الماء، ومنهم من يموتُ من العطش، وإخلاصُه أفضل وأرجحُ من إخلاص الأول.

لا بلوغَ إلى رعاية الحقوق إلاّ بحراسة القلوب.

و: إن كانتِ الدنيا كلُّها لشخصٍ لا يضره، وإن كان في قلبه شرةٌ ـ أي حرصٌ ـ إلى تمرةٍ فيضرّ ذلك[1].

و: إن قدرتَ على أن تكون أواني بيتِكَ من الحزن[2] فافعل.

و: العبدُ من لا يشتكي، ويترك التقصير في الخدمة.

---

(١) في (أ): فليضر ذلك.

(٢) في (أ): من الخوف.

المريدُ الصادق لا يحتاج إلى علم العالمين.

أقول: معناه أنّ الله تعالى يعلّمُهُ بعلم من لدنه، كما قال النبيُّ ﷺ: «ما اتخذَ الله وليًّا جاهلاً، ولو اتّخذَهُ لعلّمه»[1] فعلى هذا فيستغني عن علمِ غيره وتعليمه. والله أعلم.

و: لا يُظهرُ اللهُ تعالى المحبَّة مع عبده في الآخرة إلاّ على قدرِ ما أحبّه في الدنيا، إن كثيرًا فكثير، وإن قليلاً فقليل.

من لم يكن مُرائيًا في أول المصائب يطّلع آخرًا على أنواع العجائب، كما رُوي في الأثر: «الصبرُ عند الصَّدمةِ الأولى»[2].

و: مرجعُ علوم العلماء إلى حرفين، تصحيحُ الملّة، وتجريد الخدمة.

من كانت حياتُهُ بروحه فموتُهُ بمفارقة الروح، ومن كانت حياتُهُ بالله فينتقلُ من حياةٍ طبيعية إلى حياةٍ أَصلية، هي الحياة بالحقيقة.

و: أيُّ بصيرٍ لا ينظرُ إلى مصنوعات الله تعالى بالاعتبار، فالعمى أَولى به، وأيُّ لسانٍ لا يكونُ مشغولاً بذكره، فالخَرَسُ أولى به، وأيُّ أُذنٍ لا تكونُ مترصّدةً لاستماعِ الحقِّ، فالصمم أولى بها، وأيُّ جسدٍ لا يكون مشغولاً بخدمة الله تعالى، فالموتُ أولى به.

و: من تمسَّكَ بالمال احتُقرَ، ومن استعصمَ بالله تعالى جلَّ قدرُه.

و: إذا أرادَ بمُريدٍ خيرًا قرَّبهَ إلى الصوفية، وبعّدَهُ عن أهل المِراء والرياء.

و: لا ينبغي للمُريد أن يتعلّم إلاّ ما يحتاجُ إليه في العبادات.

و: من كان بينه وبين الله تعالى مِخلاةٌ مملوءةٌ من الطعام، كيف يجدُ حلاوةَ المناجاة.

---

(١) قال علي بن سلطان الهروي القاري في كتابه «المصنوع» صفحة ١٥٦: قال السخاوي: ليس بثابت، ولكن معناه صحيح.

(٢) رواه البخاري (٧١٥٤) في الأحكام، باب ما ذكر أن النبي ﷺ ليس له بواب، ومسلم (٩٢٦) في الجنائز، باب في الصبر، وأبو داود (٣١٢٤)، والترمذي (٩٨٧)، والنسائي ٤/ ٢٢.

و: كما تلوحُ الكواكبُ لأهلِ الأرض كذلك يلوحُ أهلُ المعرفة في الأرضِ لأهل السماء.

و: الناسُ تحبُّكم وتعزّزُكم[١] لله يا أهل الفقر، فانظروا كيف أنتم مع الله في الخلوة.

أفضلُ الأعمالِ أن تحفظَ نفسَك ودينك.

و: الخواطر أربعةٌ: خاطرٌ من الله عزّ وجل يَدعوك إلى الانتباه، وخاطرٌ من المَلَكِ يَدعوك إلى الطاعة، وخاطرٌ من النفس يَدعوك إلى التنعُّمِ وزينةِ الدنيا، وخاطرٌ من الشيطانِ يَدعوك إلى الحقدِ والحسد والعداوة.

و: أجمعَ ألفٌ من المشايخ على أن نهايةَ الرياضة أن تصلَ إلى مقامٍ كلّما تطلبُ قلبَك تجدُه مُلازمًا لخدمة الله تعالى.

من لم يكن سرُّه خالصًا لا يصفو له عمل أصلاً[٢].

و: الصوفيُّ ينبغي أن يكونَ كالأرضِ، تُطرح فيها النجاسة، ويطلع منها الأزهار.

والتصوفُ ذكرٌ باجتماعٍ، ووجدٌ باستماعٍ، وعلمٌ باتباعٍ.

و: التصوف من الاصطفاء، بمعنى الاختيار. يعني: الصوفيُّ من اختارَ الله تعالى، وتركَ ما سواه.

و: الصوفي من يكونُ امتثالُه لأمرِ الله تعالى كامتثال الخليل عليه السلام، وتسليمُهُ كتسليم إسماعيل عليه السلام، وأحزانُه كحزن داود عليه السلام، وصبرُهُ كصبر أيوب عليه السلام[٣]، وفقرُهُ كفقرِ عيسى عليه السلام، وشوقه كشوقِ موسى عليه السلام، وإخلاصه ومناجاته كإخلاص محمد ومناجاته عليه الصلاة والسلام.

---

(١) في (أ): وتقدركم لله.

(٢) في (أ): لا يصفو له عمل أبدًا.

(٣) في (ب): كامتثال الخليل عليه السلام، وفقره كفقر عيسى.

و: التصوفُ أن تموتَ عن نفسك، وتحيا بربِّك.

و: التصوف أن تكونَ مع الله تعالى بلا علاقةٍ.

و: التصوف ذكرٌ، ثم وجدٌ، ثم لا هذا ولا هذا.

أقول: معناه أنَّ التصوفَ ذكرُ الله تعالى، ثم بعد استكمالِ الذكر يَحصلُ وجدٌ لله بلا كيفٍ ـ أي معرفة كاملة ـ ثم استغراقٌ في بحر المعرفة، واضمحلالٌ عن الصفات البشرية بحيث لا يبقى له وجودٌ في حدِّ ذاته، وحينئذٍ لا يبقى ذكرٌ، ولا وجدٌ؛ بل ولا وجودٌ إلاّ لله عز وجل موجودًا دائمًا. والله أعلم.

سئل الجنيد رحمه الله عن ذاتِ التصوف، فقال: عليكم بظاهره، وإيّاكم أن تسألوا عن باطنه وحقيقته وذاته.

دخل شخصٌ في أصحاب الجنيد، وأقام فيهم أيامًا، وما كان يرفُع رأسَه إلاّ للصلاة، ثم فارقهم، فبعثَ الجُنيد شخصًا من أصحابه وراءه، وأمره أن يسألَهُ: إنّ الصوفي موصوفٌ بالصفا، فكيف يُدرِكُ من لا وصف له؟ فأجاب بقوله: كنْ بلا وصفٍ لتُدركَ ما لا وصفَ له. فقال الجنيد رحمه الله متأسِّفًا: كان الشخصُ طيرًا غريبًا، وما عرفنا قدرَه.

و: للعارف سبعون مقامًا، أدناه تركُ المُراد في الدنيا.

و: العارفُ من يتكلَّمُ شيخُه، وهو ساكتٌ.

العارفُ من ينطقُ سرُّه، وهو ساكتٌ.

و: العلمُ أن تعرفَ قدرك.

و: المحبةُ أمانةٌ.

إذا تمَّتِ المحبَّةُ سقطَتْ شرائطُ الآداب.

إنّ الله تعالى حرّم المحبَّةَ على أربابِ العلائق.

لا يصلُ أحدٌ إلى محبَّةِ الله تعالى إلاّ إذا سامحَ في هذا الطريق بروحه.

و: المشاهدةُ غرقٌ[١]، والوجدُ هلاك.

أقول: أي المشاهدةُ غرقٌ في بحرِ الشهود، والوجدُ انخلاعٌ عن البشرية، وخروجٌ عن الرسوم، فيكون هلاكًا واستهلاكًا في لجّة بحر الوجود. والله أعلم.

المشاهدةُ إقامةُ الربوبية، وإزالةُ العبودية، الوجدُ هلاك الوجد.

أقول: معناه: أن يفنى العارفُ عن أفعاله وأحواله وصفاته؛ بل عن ذاته، بحيث لا يبقى له إحساسٌ بهذا الفناءِ، إذ لو بقي له إحساسٌ به لما حصل له مقام الفناء. والله أعلم.

و: الوجدُ انقطاعُ الأوصاف عند ظهور الذات.

أقول: إن انقطاع[٢] العارف عن أوصاف كونه ووجوده عند مُشاهدةِ آياتٍ دالّاتٍ على وجود ذات الله تعالى، وإيقانها. والله أعلم.

و: المراقبة والخوف انتظارُ الغائب، والحياءُ الخجلة عن الحاضر.

و: الوقتُ إذا فاتَ لا يُدرك أبدًا، ولا شيءَ أعزُّ من الوقت.

و: إن أقبلَ على الله صادقٌ ألفَ سنةٍ، ثم أعرضَ عنه لحظةً، فما يفوتُهُ في تلك اللحظة أكثرُ ممّا حصلَ له في مدّةِ إقباله وتوجُّهه إلى الله تعالى. معناه: أن الإثمَ الذي حصلَ له بسبب إعراضه عن الله لحظةً أضرَّ له ضررًا أكثر من الأجر الذي اكتسبَهُ في مدّةِ إقباله على الطاعة.

و: ليس على الأولياء شيءٌ أشدَّ من حفظِ النفس، وحفظ الوقت.

و: العبودية خصلتان: صدقُ الافتقارِ إلى الله تعالى في السرِّ والعلن، ومتابعةُ الرسول ﷺ.

---

(١) في (ب): المشاهدة تحرق.

(٢) في (ب): أقول: انقطاع.

و: حقُّ العبودية في شيئين: أن لا تسكنَ إلى لذَّةٍ، ولا تعتمدَ إلى حركةٍ. فإذا تحقَّقَ لك شيئان، فقد أدَّيْتَ حقَّ العبودية.

و: الشكرُ عبارةٌ عن أن تعدَّ نفسَك من أهل النعمة.

و: ما من أحدٍ يَطلبُ الصدقَ إلاّ ويجده، وإن لم يجدْ كلَّه، فيجد بعضَه.

و: الصادقُ ربّما يتحوَّلُ من حالٍ إلى حال أربعين مرة، والمرائي قد يثبتُ على حالةٍ واحدةٍ أربعين سنة[1].

و: علامةُ الفقيرِ الصادق تركُ السؤال، وتركُ المعارضة، وإن عارضَهُ غيره يسكتُ.

و: التصديقُ يزيدُ ولا ينقص، والإقرارُ لا يزيد ولا ينقص، وعمل[2] الأركان يزيد وينقص.

و: غايةُ الصبرِ التوكُّلُ، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢].

الصبرُ ثباتُ النفس مع الله تعالى بلا جزع.

و: الصبر تجرُّعُ المرارة مع البشاشة.

و: التوكّلُ أن تكونَ لله تعالى كما كنتَ له قبلَ أن تكون.

أقول: معناه: أنه ما كان لك اختيارٌ حال عدمك، فالتوكّلُ أن يحصلَ لك هذا المقامُ حالَ الوجود أيضًا، أي تتركُ الاختيارَ من جميع الوجوه، وتفوّضَ أمورَك كلَّها إلى الله في جميع الأوقات والحالات. [والله أعلم].

و: التوكّلُ تركُ الكسب، وتركُ البطالة معًا، وحقيقتُهُ سكونُ القلب، واطمئنانُهُ بوعد الله تعالى.

و: اليقينُ أن يستقرَّ في قلبك علمٌ لا يتغيَّرُ ولا يزول أبدًا.

---

(١) انظر قوله صفحة (٤٥٤).

(٢) في (أ): وعمد الأركان.

اليقينُ أن لا تعزِمَ على طلب الرزق، ولا تحزنَ له، واللهُ تعالى يَرزقُكَ من حيث لا تحتسب.

و: الفتوة أن لا تفتخر على الفقراء، ولا تعارض مع الأغنياء.

الفتوةُ أن لا تحملَ حملَك على غيرك.

و: التواضعُ أن لا تتكبَّرَ على الدنيا والآخرة؛ بل لا تلتفت إليهما استغناءً بالحقِّ جلَّ جلاله.

و: الخُلق أربعةٌ: السخاوة، والإلفة، والنصيحة، والشفقة.

و: الصحبةُ مع فاسقٍ حَسنِ الخلق، أَحبُّ إليَّ من الصُّحبةِ مع صالحٍ سيِّء الخلق.

و: إذا نظرتَ إلى زلَّتِكَ وتقصيرِك يحصلُ لك حالةٌ تُسمّى تلك الحالة حياءً.

و: الحالُ شيء ينزلُ في القلب ولا يدوم.

و: الرضا تركُ الاختيار.

الرضا أن تعدَّ البلاءَ نعمةً.

و: الفقر الاستغراقُ في لجّة بحرِ البلاء.

و: التوبةُ لا تحصلُ إلاّ بثلاثة أشياء: الندمُ على ما مضى من الذنوب، والعزمُ على أن لا يعودَ إليها أبدًا، ثم أداءُ الحقوقِ من المظالم إلى أصحابها.

و: حقيقةُ الذكر فناءُ الذَّاكرِ في الذكر، ومُشاهدة المذكور.

قيل له: ما السرُّ في أنَّ المُريدَ يكونُ مطمئنًا ساكنًا، فإذا سمعَ صوتًا مَوزونًا يَضطربُ؟ قال: لأنَّ اللهَ تعالى خاطبَ ذُرّيةَ آدم عليه السلام عند أخذ الميثاق بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فاستغرقتِ الأرواحُ في لذَّةِ هذا الخطاب، فإذا سمعوا صوتًا يَذكرونَ تلك اللَّذَّةَ، فيقعون في الاضطراب.

و: التصوفُ صفاءُ القلبِ عن الخلق، والمُفارقةُ عن الأخلاق الطبيعية، وإطفاءُ نيرانِ الصفاتِ البشرية، والتباعدُ عن الدَّواعي النفسانية، والاشتغالُ بما هو أهمُّ وأولى، والوفاءُ في الوعد، ومتابعةُ النبيِّ ﷺ في أمور الشريعة.

أقول: خلاصتُهُ أن يُقال: التصوف لبسُ الصوف على الصفا، ونبذُ اللذَّاتِ على القفا، ومجانبةُ الهوى والجفا، والمداومةُ على المحبة والوفا، ومتابعة النبيِّ المصطفى، في الجهر والخفا. والله أعلم.

سُئل عن أقبحِ الأشياء، قال: البخلُ عن الصوفي.

وسئل عن التوحيد، فقال: معناهُ أن يتلاشى فيه الرسوم، ويضمحلُّ فيه العلوم، ويكون الله تعالى كما كان ويكون أزلاً[1] وأبدًا.

قال: صفةُ العبد الذلَّةُ والعجز، والضعفُ والاستكانة، ومن صفة الله تعالى العزُّ والقدرةُ والقوة، فمن فرَّقَ بين الصفتين فهو موحِّدٌ.

وسئل عن البقاء والفناء، فقال: البقاءُ لله تعالى، والفناءُ لما سواه.

وسئل عن التجريد، فقال: أن يكونَ الظاهرُ مجرّدًا عن الأغراض، والباطنُ عن الاعتراض.

وسئل عن الأُنس، قال: هو ارتفاعُ الحِشمة.

وسئل عن التفكُّر، فقال: هو على وجوه: التفكُّرُ في آيات الله، وعلامتُهُ المعرفةُ، والتفكُّرُ في الآلاءِ والنعماء، وعلامتُهُ المحبة، والتفكُّر في وعدِ الله، وعلامته الرجاءُ، والتفكُّر في الوعيد، وعلامته الخوف.

سئل عن تحقيق العبد في العبودية، قال: إذا رأى العبدُ جميعَ الأشياء مُلكًا لله تعالى، وقيامَها به تعالى، ومرجعها إليه تعالى، كما قال جلَّ وعلا: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

وسئل عن المراقبة، فقال: انتظارٌ لوقوعِ ما يخاف منه، فلا جرمَ يكونُ

---

(١) في (أ): أولاً وأبدا.

المراقبُ خائفًا، كخائفٍ لا ينامُ بالليل، قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠].

وسئل عن الصادقِ، والصدّيق، والصدق، قال: الصدقُ صفةٌ للصادق، والصادقُ إذا رأيتَهُ تراه كما سمعتَه، بل وصلَ إليك خبرُهُ، فتجدُهُ في جميع عمره كذلك، والصدّيق من يكون مُواصلاً للصدق في جميع أحواله وأفعاله وأقواله.

سئل عن الإخلاص، فقال: هو فرضٌ في فرض، ونفلٌ في نفل - أي الإخلاصُ في الفرائض فرض كالفرائض، وفي النوافل نفل.

وأيضًا قال: الإخلاص فناؤك عن فعل نفسك، والنظرُ في العاقبة.

وسئل عن الخوف، فقال: انتظارُ العقاب في كلِّ نَفَسٍ يصعدُ منك. قيل: وما فوق الخوف؟ قال: التوبة، فإنها تقصيرُ[١] الرجل، ومنِ انقصرَ بالتوبة لا يرى بلاءً أبدًا.

وسئل عن الشَّفقةِ على الخلق، قال: أن تُعطيَهم بالطوع[٢] ما يطلبون منك، ولا تكلّفَهم شيئًا لا يطيقونه، ولا تكلّمهم بما لا يفهمون[٣].

قيل: متى تصحُّ المعرفة[٤]؟ قال: إذا اعتزلتَ عن نفسك.

وقيل: من أعزُّ الناس؟ قال: الفقيرُ الراضي.

قيل: من أَوْلى بالمصاحبة؟ قال: من أحسنَ إليك، ثم نَسي الإحسانَ، ويوفّي بما عليه من الحقوق.

قيل: هل شيءٌ أَفضلُ من الحياة؟ قال: البكاءُ على الحياة.

---

(١) تقصير الرجل: تبييضه. من قوله: قَصَر الثوب: دقَّه وبيَّضه، فهو قصّار..

(٢) في (أ): كتب تحت كلمة (بالطوع): بالقلب.

(٣) في (أ): بما لا يفقهون.

(٤) في (أ): متى تصح العزلة.

قيل: من العبد؟ قال: من يكون حرًا من عبودية الغير[١].

قيل: كيف الطريق إلى الله تعالى؟ قال: إذا تركتَ الدنيا، وخالفتَ الهوى، وصلتَ إلى المولى.

قال: الحجاب ثلاثةٌ: النفسُ، والخَلقُ، والدنيا، وهي للعامة. وللخواص أيضًا ثلاثةٌ: رؤيةُ الطاعة، ورجاءُ الثواب، ودعوى الكرامة.

وقال: زلّةُ العالمِ الميلُ من الحلال إلى الحرام، وزلّةُ الزاهد الميل من البقاءِ إلى الفناء ـ أي من الآخرة إلى الدنيا ـ وزلّةُ العارفِ الميلُ من الكرمِ[٢] إلى الكرامة.

قيل: ما الفرقُ بين قلبِ المؤمن وقلب المنافق؟ قال: أمّا المؤمنُ فقلبُه يتحوّلُ من حالٍ إلى حالٍ أخرى في ساعةٍ سبعين مرّة، والمنافقُ قد يستمرُّ على حاله سبعين سنة[٣].

نقل أنّه في حال النزع أمرَ بعضَ الأصحاب ليوضِّئَهُ، فوضَّأَهُ، وكأنَّهُ نسي التخليلَ، فأشارَ برأسه، حتى خلَّلَ، ثم خرَّ ساجدًا وهو يبكي، فقيل: أنت سيد أهل الطريقة، وقد قدّمتَ من الطاعةِ والعبادة ما قدَّمتَ، وما الحاجةُ إلى هذه السجدة؟ قال: مه، ما كان الجنيدُ أحوجَ إلى العبادة منه في هذا الوقت ـ أي احتياجه إلى العبادة في هذا الحين أكثرُ وأقوى من احتياجه في سائر الأحيان ـ وشرعَ في تلاوة القرآن، وقال: ليس كلامٌ أولى وأشرفَ من هذا الكلام، وفي هذه الساعة تَنطوي صحيفةُ عمري، وأنظرُ إلى طاعتي[٤] التي فعلتها في مدّة سبعين سنة، أراها مُعلّقةً في الهواء بشعرةٍ، وريحٌ تهبُّ وتهزُّها، وما أعلم أنها ريحُ قطيعةٍ، أو وصلة؟ وكأنّي أنظر إلى الصراطِ وهو في جانب وملكُ الموتِ

(١) في (ب): حرًا عن. قيل: كيف الطريق.
(٢) في (ب): الميل من الكريم.
(٣) انظر قوله الذي تقدم صفحة (٤٥٠).
(٤) في (أ): وأنظر إلى الطاعات.

في جانبٍ آخر، والحاكمُ عدلٌ لا يجور ولا يظلم، وقدّامي طريقان، وما أعلم في أيّهما أَسلك به، ثم ختمَ القرآن ثانيًا، وقرأ من سورة البقرة سبعين آيةً فانضاقَتْ حالُه، فقيل: قل الله. قال: ما نسيتُهُ. ثم عقدَ أصابعَه، وأرسلَ المُسبِّحَةَ، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، وغمضَ عينيه، وتُوفّي إلى رحمة الله تعالى.

ثم إن الغسّالَ حين كان يغسّله، أرادَ أن يفتح عينيه، ويغسلهما، فسمعَ هاتفًا يقول: عينٌ غُمضت باسمنا، لا تنفتحُ إلاّ بلقائنا. فأرادَ أن يبسطَ أصابعه، فسمع أيضًا: أصابعُ عُقدت على اسمنا، لا تَنبسطُ إلاّ بأمرنا.

ثم رُئي في المنام، وسئل: كيف أجبتَ عن سؤال منكر ونكير؟ قال: حين أتى إليَّ الملكان المقرّبان من حضرة ربِّ العزَّة في غاية الهيبة، وقالا لي: مَنْ ربُّك؟ فنظرتُ إليهما، وتبسّمتُ، وقلت: لمّا قال الله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] قلتُ: بلى، واعترفتُ بوحدانيته بلا واسطتكم، فمن قد أجابَ السُّلطانَ مُواجهةً، يُجيبُ عن سؤال الغلام أيضًا ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨] فتركاني، وذهبا وقالا: هو بعدُ في سُكر المحبّة.

رآه آخرُ في المنام، وقال: أخبرني عن حالك، قال: ليسَ الأمرُ كما تظنُّون، فإنَّ جميعَ الأنبياء مع قربهم وعلوِّ قدرهم أطرقوا رؤوسهم مُنتظرين لحكم الله تعالى.

قال الحيري: رأيتُ الجُنيد رحمه الله تعالى، وقلت: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني، إذ طاشتْ تلك الإشاراتُ، وتلاشتْ تلك العباراتُ، وما نفعني إلاّ تلك الركعتان، صلّيتُهما قبل الصبح.

وكان الشِّبليُّ عند قبر الجُنيد رحمه الله، فسأله شخصٌ عن مسألةٍ، فما أجابَ، وقال: أستحيي من الجُنيد وهو ترابٌ، كما كنتُ أستحيي منه وهو بيننا[1].

---

(١) وكأني بقوله هذا ترجمة لبيت شعر ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ٢٧٨ من غير عزو: =

نسأل اللهَ الكريم ربَّ العرش العظيم أنْ يُلهمَنا رُشدنا، ويهوّنَ علينا مصائب الدنيا والآخرة وأحزانهما، ويسهّلَ علينا سكراتِ الموت، وهيبة سؤال مُنكرٍ ونكير، ويحشرنا في زمرة عبادة الصالحين، إنه سميعٌ بصير، حكيمٌ قدير.

* * *

= وإنّـي لأَستحييـهِ والتُّـربُ بيننـا كمـا كنـت أستحييـه وهـو يرانـي